

الحلفاء الإسرائيليون للاجئين الفلسطينيين (مترجم)

MUSSA'AB BASHIR · LUNDI 16 MAI 2016



إليونور وإيتان برونشتاين، المديران المشاركان ل De-colonizer (مفك الإستعمار) مع لوحة ترحيبية يقدمون
جار جديد في العمارة التي يسكنان فيها في تل أبيب. الصور ل De-colonizer

يحيي الشعب الفلسطيني في ال15 من أيار/مايو ذكرى النكبة التي بدأت عام 1948 بعيد إعلان دولة إسرائيل، حينما طردت الجماعات المسلحة الإسرائيلية الفلسطينيين من بيوتهم في فلسطين التاريخية. منذ ذاك الحين، تكابد تلك الأسر الفلسطينية العيش باكتظاظ في مخيمات للاجئين.

لكن ذلك اليوم بالنسبة للإسرائيليين هو يوم الإستقلال، ويجري الإحتفال به وفق التقويم اليهودي في ال12 من أيار/مايو لهذا العام. يعتبر حق عودة أولئك اللاجئين واللأجنات الفلسطينيات إلى مواطنهن الأصلية موضوعا محظورا، تابو، في المجتمع الإسرائيلي، إلا أن مواطنان إثنان من إسرائيل، ما انفكا يعملان على كسر هذا الحاجز.

تدير إليونور وإيتان منظمة De-colonizer (مفك الإستعمار) الغير حكومية. يعمل كلاهما على تعليم المجتمع الإسرائيلي معنى النكبة، ويقومان بالمدافعة في سبيل تغيير إجتماعي يؤدي إلى فكفكة الطابع الإستعماري للسياسة الإسرائيلية، كما أنهما يجريان سوية مع إسرائيليين وفلسطينيين آخرين أبحاثا ومناظرات متعلقة بنمط تطبيق حق العودة كما أعترفت به الأمم المتحدة في قرار 194.

ولدت إليونور ابنة ال36 عاما في فرنسا لأم يهودية جزائرية-ألزاسية وأب مسلم من مرتفعات الجولان السورية المحتلة. كرسَتْ هذه المتخصصة في الإناسة السياسية دراساتها للذاكرة الجماعية للسكان في أوضاع الهجرة والأقلية والتهميش والنفي. أما زوجها إيتان ابن ال56 عاما فولد في ميندوزا في الأرجنتين، وهاجر إلى كيبوتس (تعاونية) إسرائيلي عندما كان في الخامسة من عمره، غير أنه تعين عليه أن يعتنق اليهودية ليتم قبوله حيث أن والدته لم تكن على ذلك الدين. لطالما عمل إيتان في مشاريع

تربوية وسياسية وهو حاصل على ماجستير في علم التأويل. يدير كلاهما منظمة De-colonizer (مفكك الإستعمار).

"كنت أعمل في {ذاكرات}، وهي منظمة غير حكومية إسرائيلية أسست عام 2001 وتعنى بالتوعية بالنكبة ودعم حق عودة اللاجئين الفلسطينيين" قال إيتان شارحاً لـ إلباريو من تل أبيب وأضاف: "تركزت {ذاكرات} عام 2015 و أنشأت De-colonizer (مفكك الإستعمار) مع إلبونور".

"لا أزال مستمرة منذ أن قمت بأبحاث مابعد الدكتوراه في المركز الفرنسي للأبحاث في القدس عام 2001، في التحقيق وإعادة إختيار طرائق حياة مشتركة في المجتمع الإسرائيلي" صرحت إلبونور. ثم أشارت "أدرس تكوين الهويات المعاد بناؤها والمعاد تحشيدها، وأدرس أيضا شكل {الأخر} كتهديد، كعدو، تلك الكينونة التي يتم إدراكها كمختلفة"، قاصدة شكل "الفلسطيني" في المجتمع الإسرائيلي.



صورة حالية لقرية لفتا الفلسطينية بالقرب من القدس والتي دمرها الإحتلال الإسرائيلي ولكنها لا تزال تحتفظ ببعض البيوت قائمة. الصورة لـ De-colonizer

عند تركهما لـ {ذاكرات} كان الهدف التالي واضحا لكليهما؛ مقارنة ما وراء النكبة: مسألة الإستعمار الإسرائيلي لفلسطين التاريخية. "إسرائيل مشروع إستعماري" قال إيتان بشكل قاطع وأضاف: "نود أن نستمر في العمل واستحداث أبحاث وأدوات جديدة. إن عملنا مزدوج: نضال من أجل العدالة وهو نضال يقوم به أيضا رفاقنا وأصدقائنا الفلسطينيين، وعمل على فككفة الإستعمار من هويتنا الخاصة كمحتلين، كأغلبية ذات حظوة".

يتكون (مفكك الإستعمار) De-colonizer من حفنة من الإسرائيليين، نشطاء ومتطوعين، يتعاون معهم كذلك فلسطينيون من إسرائيل وأيضا من الأراضي الفلسطينية المحتلة: قطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية.

"نرى أنفسنا كحلفاء سياسيين راغبين في الإنضمام إلى النضال عندما يدعوننا لذلك" أكدت إلبونور وأضافت: "كنشطاء معادين للإستعمار نسعى لفككفة الإستعمار عن هويتنا ومجتمعنا الخاصين. نحن مؤمنون بأنه لا يزال هناك الكثير من العمل للقيام به، نظن أيضا أنه لن تحدث تغيرات ذات دلالة من الداخل، وعليه فإننا نتوجه أيضا إلى المجتمع الدولي".

وضع خرائط وتحديد لبيوت الفلسطينيين

إحياءا لذكرى النكبة في العام الماضي، أطلق (مفكك الإستعمار) De-colonizer حملة داخل إسرائيل حيث تم سؤال 500 يهودي إسرائيلي عن معنى "النكبة". عكست إجابات البعض نقضا في المعلومات حول هذه الفترة التاريخية. أما طريقة التعامل مع مواطنيهم هذا العام فهي أكثر تحدي: "سننظم في يوم الإستقلال الإسرائيلي مناظرة عامة بعنوان: {أوجب على الإسرائيليين التخطيط لعودة اللاجئين الفلسطينيين؟} " صرح إيتان. يترافق ذلك مع فعالية في شوارع تل أبيب لتذكير الإسرائيليين بـ "إستقلالهم".

بنفس الشاكلة، يتواجد أولئك الناشطون في خضم مشروع لفككفة إستعمار مرتفعات الجولان السورية المحتلة عام 1967. والد إلبونور سوري (مسلم) من قرية المنصورة التي كانت قائمة في تلك المنطقة حتى قدوم الإحتلال الإسرائيلي. نفس المنهجية التي يستخدمونها هناك -أي وضع الخرائط وتحديد بيوت العائلات التي طردها الإحتلال الإسرائيلي ووضع علامات على



لاجيء فلسطيني من قرية حمامة يشير إلى خريطة من عام 1945. كان بيته قائما في القرية قبل أن يدمره الإسرائيليون الصورة ل De-colonizer

"نحن بصدد عمل خريطة جديدة باسم "الإستعمار والفعل التدميري" وأضاف إيلونور: "سوف تبين كل طبقات التدمير منذ بدايات الهجرة الصهيونية إلى فلسطين إلى يومنا هذا، كذلك تلك التي سيتم تدميرها حيث أننا، للأسف، قادرين على تحديد أماكن القرى والمدن الفلسطينية المهددة في الضفة الغربية".

تنظم (مفكك الإستعمار) De-colonizer زيارات موجهة إلى القرى الفلسطينية والسورية التي عانت من التطهير العرقي خلال "الفترة المساوية من مسلسل المشروع الإستعماري الإسرائيلي الجاري".

"نحن في منتصف حملة عامة للإعتراض على مخطط بناء حي جديد في أشكلون، جنوب غرب إسرائيل، على أراضي قرية حمامة الفلسطينية (القديمة)"، وأكمل إيتان شارحا: "قمنا بجولة ذاكرة وفعل. بواسطة أصدقاء من غزة تمكنا من التواصل مع لاجئين فلسطينيين من حمامة، وسوف نطور المشروع".

يؤكد مفككو الإستعمار اولئك، أن الحكومة الإسرائيلية حاولت على الدوام إسكات هذه المبادرات. وأشارت إيلونور قائلة: "الإستعمار الإسرائيلي مختلف عن مشاريع الإستيطان الإستعماري الأخرى لأن لديه جانب قوي جدا متعلق بتدمير مأهل أبناء البلاد".

الحل الواقعي الوحيد للصراع

يتمسك (مفككو الإستعمار) بقرار الأمم المتحدة رقم 194 المتعلق بحق عودة جميع اللاجئين الفلسطينيين وعائلاتهم، مع إدراكهم للسياق الحالي.

"لا يمكن تطبيق حق العودة بشكل ساذج. نحن لا نعتقد بأنه من الممكن إعادة بناء فلسطين كما كانت قبل حوالي 70 عاما. يجب أن يستند تطبيق ذلك على واقع الأرض وعلى نظام سياسي جديد بالكامل" أوضحت إيلونور.

يجري (مفككو الإستعمار) دراسات ومناظرات عامة حول كيفية عودة اللاجئين. إذا لم يكن ممكنا العودة إلى بيت لم يعد موجودا، فماذا لو ظل البيت واقفا وكان مسكونا من قبل عائلة إسرائيلية؟ يطرح البعض أنه حق مشروع للعائلة الفلسطينية إذا ما تمكنت من إبراز أوراق الملكية، أما إذا لم تتمكن فيلجأ إلى الحوار والتوافق بين العائلتين.

"بسبب ذلك كله تعرضنا للهجوم اللفظي وللتهديد بالموت، بشكل أساسي من قبل يهود إسرائيليين أو يهود في الشتات" أكد إيتان وأضاف: "نحن نحاجج بأن ذلك لا يتعارض مع مصلحة الإسرائيليين، بل أنه في صالح العيش بسلام وأمان".

"عندما نتوجه إلى الفلسطينيين، تواجهنا أحياناً مسألة {التطبيع} التي تخلق حاجزاً ما أمام التعاون مع إسرائيليين" أشارت إليونور، وأضافت: "ولكن عندما نقوم بشرح موقفنا من حق العودة أو موقفنا الداعم للحملة اللاعنافية لمقاطعة إسرائيل وسحب الإستثمارات منها ومعاقبتها BDS، فإن ذلك يكفي لتبديد أية شكوك".

لكن الأعوام تمضي ولم يرى نشطاء حق العودة أية إجراءات أممية حازمة تتعلق بالقرار 194. يضاف إلى ذلك أن التشويه الذي تبثه وسائل الإعلام الإسرائيلية التي تتحدث عن كيف يريد الفلسطينيون "رميهم في البحر" يجعل الكثيرين يرون في عودة اللاجئين تهديداً حقيقياً ونهاية لإسرائيل.

"يواجهنا في إسرائيل واقع سياسي متطرف يسعى جاهداً لإسكات أي نقد أو عمل في مجال حقوق الإنسان" يقول إيتان ويضيف: "إن كل أفكار الفصل بيننا (إسرائيليين وفلسطينيين) محكومة بالفشل على المدى البعيد. من الممكن أن تكون هنالك دولتان، ولكن ضمن نوع من أنواع الكونفدرالية (تشاركية) مع وجوب إبقاء الحدود مفتوحة. إن حل الدولة الواحدة - ليس بالضرورة كيانا كدولة، بل كأشكال مبنية على المساواة - أمر أفضل أخلاقياً، إنه الحل الواقعي الوحيد.

المقال لإيسابيل بيريث في جريدة إلباريو الإسبانية